النزعة اليمانيـــــــة النزارية

تابع المنشور فى العدد التاسع (السنة الخامسة) من « البعثة »

ثم رجع بعد ذلك عمير فنزل على الخابور، وكانت منازل تغلب (من ربيعة) بين الخابور والفرات ، فوقع بينهم وبين عمير وقومه شر وحروب ليست من بحثنا فى شىء ، لأن الموضوع هو اليمانية والنزارية ، إلا أن وقعة يوم الثرثار الثانى لبنى سليم على تغلب يجىء فيها الشاهد لهذا البحث ، وقد يضطرنا هذا الشاهد إلى الاستطراد فى بحث قد يراه بعض الناس شاذاً عن الموضوع ، ونراه من باب الفائدة والتكملة لما نحن فيه ، والحديث شجون يجر بعضه بعضا « وربما جر شأن شئوناً » وقد تأتى حكاية حادثة متأخرة قبل أختها المتقدمة حسب سياق الحديث .

(زفر وعُمَيْر)

وبعد أن انهزمت قيس من تغلب يوم الثرثاء الأول تجمعت واستعدت ، وعليها عمير بن الحباب السلمى وأتاهم زفر بن الحارث الكلابى من قرقيسيا ، وكان رأس تغلب والنمر بن قاسط ومن معها من قبائل ربيعة زياد بن هوبر وقيل يزيد بن هوبر ، فالتقوا بالثرثار وذلك اليوم الثانى ، فاقتتلوا أشد قتال اقتتله الناس ، وانهزمت بنو عامر وعليها زفر بن الحارث وصبرت قبائل أعصر وسليم حتى انهزمت تغلب ومن معها . . فقال عمير : —

فدا لفوارس الثرثار نفسى
وما جمعت من أهل ومال
وولت عامر عنا فأجلت
وحولى من ربيعة كالجبال
أكافحهم بدهم من سليم
وأعصر بالمصـــاعيب النهال

فأجابه زفر وكان قد انهزم مع قومه من قبل أن تنهزم تغلب وأخوتها من ربيعة بقوله : —

ألا من مبلغ عنى عميراً
مقالة ناصح وعليه زارى
أتترك حىّ ذى يمن وكلباً
وتجعل حدنابك فى نزار
كمعتمد على إحدى يديه
فخانته بوهن وانكسار

والشاهد فى هذا الخبر قول زفر «أتترك حى ذى يمن وكلبا » — أى تترك أعداءك من قحطان وهم (المعنيون بحى ذى يمن) وقضاعة وتجعل حد نابك وشوكتك على أبناء أبيك من نزار . ويعنى بذلك تغلب وبنى أبيها من ربيعة ، وذلك قول غير مقبول من زفر ، فأين كان قبل الموقعة من هذا النصح البارد والعطف المصطنع ، وأن ليس لديه من عمير ما يبرر ذلك ، وأنى لديه وقد جاء إلى عمير منجداً له على حرب الربيعيين من أبناء أبيه النزاريين ، وليست هذه بأول حرب كانت بين قيس وربيعة ، ثم أنه أقدم معتمداً على حربهم معه ، ولوأنه بهذا النصح تقدم لعمير قبل نشوب المعركة لوجد من يقول أن الرجل حداه على هذا وازع العطف على القرابة ، وتأنيب الضمير ، ولكنه باشر مع قومه من قيس الحرب ضد هؤلاء الذين منحهم عطفه بعد هزيمته ، ومما لا مشاحة فيه لو أنه صبر قليلا وأدرك هزيمتهم لشاطر عميرا ما تركوه من نعم . وليس لنا أن نذهب مذهب الظن ، فقد قاتلهم بعد ذلك فى مرج الكحيل طلباً لثأر عمير بن الحباب بعد أن قتل فى الحشاك ، وأسرف فى القتل حتى تجاوز به إلى قتل النساء وسبب ذلك ..

(يوم الكحيل)

أنه لما قتل عمير بن الحباب أتى تميم ابنه زفر بن الحارث فسأله أن يطلب له بثاره فامتنع فأجمع تميم على غزو بنى تغلب بمن معه من بنى سليم . فقال الهذيل ابن زفر لأبيه . والله لئن ظفرت بهم تغلب أن ذلك لعار عليك وأنت سيد قيس ، ولئن ظفروا بتغلب وقد خذلتهم أن ذلك لأشد ، فاستخلف زفر بقرقيسيا أخاه أوس بن الحارث ، وعزم على أن يغير على بنى تغلب ، فوجه خيلا إلى بنى فدوكر (بطن من تغلب) فقتل رجالهم واستباح أموالهم ونساءهم حتى لم يبق غير أمرأة واحدة استجارت فأجارها يزيد بن حمدان . ووجه زفر ابنه الهذيل فى جيش إلى بنى كعب

ابن زهير فقتل فيهم قتلا ذريعاً وبعث مسلم بن ربيعة إلى قوم منهم فأكثر فيهم القتل ، ثم قصد هوجل بنى تغلب وقد اجتمعوا بالعقيق من أرض الموصل فلما أحسوا به ارتحلوا يريدون عبور دجلة ، فلما صاروا بالكحيل لحقهم زفر فى القيسية فاقتتلوا قتالا شديداً وترجل أصحاب زفر أجمعين وبقى هو على بغل ، فقتلوهم ليلتهم وبقروا بطون نساء منهم وغرق فى دجلة أكثر ممن أخذه السيف فأتى قلهم (لبى) فوجه زفر ابنه الهذيل إليهم فأوقع بهم إلا من عبر فنجا وأسر منهم مائتين فقتلهم وقال :

ألا يا عين بكى بانسكاب
وبكى عاصماً وابن الحباب
فإن تك تغلب قتلت عميراً
ورهطا من غنى فى الحراب
فقد أفنى بنى جشم بن بكر
ونحرهموا فوارس من كلاب

وقال من قصيدة لاأذكرمنها غيرهذا البيت « فلو نبشوا المقابر عن عمير ... لخبر عن بلاء أبى الهذيل .

(ظهور العصبية فى بيت زفر)

لا جرم أن الحديث يجر بعضه بعضاً ، والذى حدا بى على إيراد هذه الحكاية هوبيت زفر لعمير حيث يقول فيه :

أتترك حى ذى يمن وكلباً
وتجعل حد نابك فى نزار

وقد فرق فى بيته زفر بنى كلب الذين هم من قضاعة ، عن الحى اليمانى القحطانى بقوله (وكلبا) فجعلهم حيا منفصلا عن أخوتهم ، وقد حكا كثير من المؤرخين نحواً من هذه الحكاية بقولهم مثلا : —

أغار على كلب واليمانية ، وقد سبق لى أن ذكرت هذه العبارة بعينها ، وما كنت فى هذا إلا مؤديا أمانة النقل لاموافقا عليهما ، وذلك أنى أعتقد أن بنى كلب من قضاعة وإن قضاعة من قحطان كربيعة أومضر فى عدنان ، وكما أن قبائل قيس من مضر تحمل فى حروبها مع اليمانيين اسم نزار ، فكذلك قبائل كلب من قضاعة تحمل فى حروبها مع النزاريين اسم اليمانية . ولو أن شاعراً قال : أتترك حى ذى مضر وقيساً لما وافقناه على ذلك . قطب الرحى من مضر ، ومنها تتكون معظم قبائلها ، ومضر من عدنان ، وكذلك بنو كلب تتكون معظم قبائل قضاعة منها وقضاعة من قحطان .

« ابن خلدون »

ومن المؤرخين النسابين من يرجع العرب إلى ثلاثة أنساب . وهى عدنان وقحطان وقضاعة ، ومن هؤلاء المؤرخين العلامة ابن خلدون حيث يقول فى الجزء الثانى من تاريخه (العبر) صفحة « ١٠ » أعلم أن جميع العرب يرجعون إلى ثلاثة أنساب ، وهى عدنان وقحطان وقضاعة أما عدنان فهو من ولد اسماعيل بالاتفاق إلا ذكر الآباء الذين بينه وبين اسماعيل ، فليس فيه شىء يرجع إلى يقينه . وغير عدنان من ولد اسماعيل فقد انقرضوا ، فليس على وجه الأرض منهم أحد ، واورد جملة وافرة (الصفحة ٧ الجزء الثانى) من كتاب الأغانى فى أخبار حزيمة بن نهد القضاعى قال كان بدأ تفرق بنى اسماعيل من تهامة ونزوعهم عنها إلى الآفاق ، وخروج من خرج منهم عن نسبه ، أن قضاعة كانوا مجاورين لنزار ، وكان حزيمة بن نهد فاسقاً متعرضاً للنساء . فشبب بفاطمة بنت يذكر ، وهو عامر بن عنزه ، وذكرها فى شعره بقوله :

إذا الجوزاء اردفت الثريا
ظننت بال فاطمة الظنونا
ومالت دون ذلك من همموم
هموم تخرج الداء الدفينا
أرى ابنة يذكر ظعنت فحلت
جنوب الحزن ياشحطاً مبينا

واسخط ذلك يذكراً فخشى حزيمة على نفسه فاغتاله وقتله وانطفأت نار يذكر ولم يصح على حزيمة ماتتوجه به المطالبة على قضاعة حتى قال فى شعره :

فتاة كأن رضاب العصير
بفيهـــا يعل به الزنجبيل
قتلت أباها على حبهـــا
فتبخل إن بخلت أو تثيل

فلما سمعت نزار شعر حزيمة بن نهد وقتله يذكر بن عنزه ثاروا على قضاعة وتساندوا مع أحياء العرب الذين كانوا معهم وكانت كندة مع نزار ونسبها يومئذ كندة بن جنادة ابن معد ، وجيرانهم يومئذ اجأ بن عمرو بن أدبن أدد ابن أخى عدنان . وكانت قضاعة تنتسب إلى معد ، ومعد إلى عدنان ، والأشعريون إلى الأشعر بن أدد أخى عدنان وكانوا يقطنون من تهامة إلى الشام ، ومنازلهم بالصفاح ؛

البعثة

إن مجلة « البعثة » قد دخلت عامها السادس جذلة بما قامت به من خدمات نحو الشعب الكويتي بأسره . فقد أنارت الطريق ، ورفعت إسم الكويت عالياً بعد أن كان الكثيرون يجهلون عنها الشيء الكثير . وكانت أول مجلة أو نشرة تصدرها بعثة عربية بمصر .

وقد كان لما كتب فيها أثر عظيم في توجيه الشعب الكويتي عامة ، وأولياء الأمور في الكويت خاصة . إذ كانت للندوات الكثيرة ، والاجتماعات العظيمة ، والحفلات المتعددة التي كان ينظمها بيت الكويت لخدمة الكويت أحسن دعاية .

وطالما طالعتنا «البعثة» بآراء نيرة كانت محل البحث والدرس في الكويت . فانتقاد وضع من الأوضاع ، أو نقص شيء في الكويت ، كان له أثره العظيم في إصلاح ذلك الخطأ ، أو سد ذلك النقص .

ومن حسن الحظ أن تحققت معظم تلك الاقتراحات التي كانت تطالعنا بين الحين والآخر . وخاصة ما كان يتعلق بادارة المعارف تلك المؤسسة الاصلاحية ، والادارة العظمى في الكويت . وذلك لأن في مجلس المعارف أعضاء خدموا الوطن مدة طويلة . وعركوا الحياة ، وعلى رأسهم سيدي الوالد الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، فقد عمل على خدمة هذه المؤسسة مدة طويلة بغير ملل أو كلل .

لا أحد ينكر صدى مجلة « البعثة » وما وصلت إليه من شهرة واسعة ، وما ذلك إلا بفضل أعضاء البعثة وعلى رأسهم الأستاذ عبد العزيز حسين الذي يتم دراسته العالية بانكلترا الآن ، ثم تلاه في تحرير هذه النشرة الأستاذ عبد الله زكريا إذ أخذ يواصل تحريرها بعد أن كانت في طريقها إلى الانقطاع .

إننا طلبة الكويت في انجلترا قد قاربنا الثلاثين طالباً وهو عدد لا بأس به بالنسبة للكويت ، نرجو من مجلس المعارف الموقر وعلى رأسه سعادة الشيخ عبد الله الجابر الصباح أن ينظر في أمر تكوين ناد صغير للطلبة الكويتيين المقيمين في انكلترا يحتوي على قاعة للمحاضرات والاجتماعات ومكتبة صغيرة تحوي شتى الكتب والمجلات باللغتين العربية والانجليزية ، وذلك ليقضي به الطلبة أوقات فراغهم وعطلاتهم ، ثم أنه سيكون أداة لرفع اسم الكويت في هذه الربوع . وكذلك أن تلحق بهذا النادي نشرة للطلبة الكويتيين يسجلون فيها آراءهم ومقترحاتهم التي طالما يكون لها الأثر العظيم في خدمة الوطن العزيز ، وخاصة وقد خلت انكلترا من أية صحيفة باللغة العربية بعد أن أوقف اصدار مجلة « المستمع العربي » لضعف ميزانية بريطانيا .

إننا نريد من مجلس المعارف الموقر أن يحقق لنا هذه الفكرة لخدمة الوطن العزيز ونكون بذلك أول بعثة عربية أو أجنبية تصدر نشرة في انكلترا كما فعلنا من قبل في مصر .

(انجلترا) **صباح عبد الله الجابر الصباح**

وكانت عسفان لربيعة . وقضاعة ما بين مكة والطائف وكندة من ألغر إلى ذات عرق ، ومنازل اجأ والأشعر ومعد ما بين جدة والبحر ، فلما اقتتلوا هزمت نزار قضاعة ، وقتل حزيمة وخرجوا مفترقين ، وقال في الصفحة العاشرة أيضاً « وأما قضاعة فقيل أنهم من حمير قاله ابن اسحاق والكلبي ، وظائفه ، وقد يحتج لذلك بما رواه بن لهيفة عن عقبة ابن عامر الجهني ، قال يارسول الله ممن نحن ؟ قال أنتم من قضاعة بن مالك بن حمير ، وقال عمرو بن مالك بن حمير وهو من الصحابة : نحن بنوا الشيخ الهجان الأزهر — قضاعه بن مالك بن حمير — والنسب المعروف غير المنكر — وبعد ذلك يقول : قال زهير « قضاعة وأختها مضرية » فجعلها أخوين ، وقال من حمير بن سعد بن عدنان وهذا شاهد لما عزوناه من أن زفرا نحى كلبا عن اليمانية ، لأن كلبا من قضاعة ، وقضاعة كما يزعمون من عدنان ، وإنهما أخت مضر وربيعة من نزار ، ولهذا فتكون على حد قول زهير أنها من نزار ، وإذا ذهبنا مع من يقول أنها من حمير ابن معد بن عدنان فتكون معدية ، وقبائل نزار معدية كذلك ، وإذن فلماذا لم يشملهم زفر بعطفه كما شمل بني تغلب وغيرها من قبائل ربيعة ، وأن من عدم الانصاف أن يشحذ سيف عمير ويؤنبه على تركها . وهي من نزار أو من معد وجميعهم معديون من عدنان . وإذا كانت استحقت كل هذا الحقد منه لقتلها قيسا يوم مرج راهط . فكذلك كانت الحروب مستمرة بين ربيعة ومضر في الجاهلية والاسلام ، وفي اعتقادي أنه ما كان من عطف زفر ولومه عميراً إلا سترا لهزيمته يوم ثبت عمير ، وهزم خصومه .

الكويت **عبد الله علي الصانع**

يتبع